

## مقدمة الكتاب

### أهداف هذا الكتاب

هذا الكتاب هو ثمرة تعاون بين لغوي معني بالبحث في اكتساب اللغة الثانية (مايلز Myles) وتربوي معني بالبحث في تدريس اللغة الثانية وتعلمها داخل الفصول الدراسية (متشل Mitchell). وهدفنا العام هنا هو تقديم عرض تمهيدي حديث للحالة الراهنة لدراسات تعلم اللغة الثانية. وجمهورنا الذي نتوجه إليه جمهور عريض يشمل الطلبة الساعين إلى نيل شهادة جامعية في اللغة أو اللغويات، وطلبة الدراسات العليا الدارسين في مجال تعليم اللغات الأجنبية أو اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية EFL أو علم اللغة التطبيقي، إضافة إلى جمهور أوسع من المدرسين وغيرهم من المهنيين المعنيين بقضايا تعلم اللغة الثانية واكتسابها. فموضوع تعلم اللغة الثانية مجال بحثي قادر على طرح إسهاماته المميزة والخاصة به فيما يتعلق بعدد من المفاهيم الرئيسية مثل طريقة عمل العقل الإنساني أو طبيعة اللغة، كما أنه قادر كذلك على إحداث تقدم في الممارسات الاجتماعية في عدد من الحقول المعرفية في مقدمتها حقل تعليم اللغة. ونحن أنفسنا مهتمون بتعلم اللغة الثانية من كلا المنظورين ونسعى لجعله مفهوماً لأكبر قدر ممكن من القراء.

وقد قصدنا جزئياً من هذا الكتاب أن يكون خلفاً لكتاب ماكلافلن McLaughlin

الصادر في ١٩٨٧ م بعنوان: *نظريات تعلم اللغة الثانية Theories of second language learning*. فقد زود ذلك الكتاب البالغ النجاح والرصانة جمهور القراء بمقدمة منتقاة في نظريات تعلم اللغة الثانية الرئيسية السائدة في تلك الفترة، ونحن بدورنا هنا نسعى إلى تقديم عمل مماثل ولكن مع التركيز على الاتجاهات النظرية في مجال تعلم اللغة التي تبدو أكثر إنتاجية وأهمية من منظور أواخر التسعينات.

إن جميع المتابعين يدركون أنه على الرغم مما حفل به حقل البحث في تعلم اللغة الثانية من نشاط بالغ وإنتاجية عالية في العقود الأخيرة إلا أننا لم نتوصل بعد إلى فهم موحد أو شامل للكيفية التي يتم بها تعلم اللغة الثانية. وقد نظم ماكلافلن كتابه في شكل مراجعة نقدية لعدد من

النظريات المختلفة في تعلم اللغة الثانية التي يمكن أن ينظر إليها بشيء من التوسع على أنها نظريات لغوية أو لغوية نفسية أو لغوية اجتماعية، وسنجرى نحن هنا على نفس المنوال. وعلى الرغم من أن ميدان البحث في تعلم اللغة الثانية كان نشطاً ومنتجاً بشكل كبير جداً فيما تلا تلك الفترة، إلا أن الصورة التي رسمها له ماكلافلن ما زالت قائمة إلى اليوم في كثير من جوانبها. فهناك بعض الاتجاهات البحثية التي كانت نشطة قبل عشر سنوات وما زالت مزدهرة حتى هذه اللحظة، ومن أبرز أمثلتها ما نجده في الأبحاث اللغوية المتأثرة بنظرية النحو الكلي لنوم تشومسكي Noam Chomsky. ولكن هذا النمط من التنظير أو البحث التجريبي لم ينجح، على الرغم من قوته وإنتاجيته، في تغطية حقل تعلم اللغة الثانية بأكمله، بل إنه لم يحاول ذلك أصلاً. فلم يكن هناك اتجاه نظري واحد يتمتع بالسيطرة بل استمرت التوجهات النظرية الجديدة في الظهور. وقد كان السؤال عما إذا كانت هذه الوضعية تعد أمراً مرغوباً أم لا موضع جدل بين الباحثين في تعلم اللغة الثانية (انظر بيريتا (Berette, 1993)، ولانتولف (Lantolf, 1996)، وفان لير (van Lier, 1994)). وعموماً فإننا مع قبولنا التام بالرأي القائل بوجود حاجة إلى زخم من البرامج البحثية المنجزة ضمن إطار نظري معين، إلا أننا نميل إلى التوجه التعددي في التنظير لتعلم اللغة الثانية. وعلى أية حال فإنه من الواضح أن الطلبة الملتحقين بهذا الحقل في وقتنا الراهن يحتاجون إلى مقدمة ظافية في عدد من الاتجاهات النظرية، مع تزويدهم بآليات لتقييم أهداف تلك الاتجاهات ومواطن قوتها وضعفها، وهذا هو ما نسعى إلى طرحه في هذا الكتاب.

### السمات المميزة لهذا الكتاب

من الشواهد على ما تتمتع به أبحاث تعلم اللغة الثانية من حيوية ونشاط وجود عدد كبير من الدراسات المسحية والمراجعات. وقد تنوعت هذه الإصدارات في مجالات تركيزها وأهدافها مما يشير إلى ما يحفل به هذا الحقل من تنوع كبير، فهناك دراسات ترمي إلى تأكيد مصداقية توجهه نظري معين (مثل شاروود سميث (Sharwood Smith, 1994))، ومنها ما يطمح إلى الموسوعية في التناول (مثل إليس (Ellis, 1994))، ومنها ما يعنى بشكل أكبر بمناهج البحث وتحليل المادة (مثل لارسن-فريمان ولونغ (Larsen-Freeman and Long, 1991)).

## مقدمة الكتاب

ف

وقد قصدنا من هذا الكتاب أن يكون بمثابة مقدمة في حقل تعليم اللغة الثانية تتوجه إلى الدارسين الذين لا يمتلكون خلفية عميقة سابقة في حقل اللغويات. وقد سلطنا فيه مسلكاً جمعياً وقمنا بالانتقاء من جميع فروع دراسات تعلم اللغة الثانية متناولين في ذلك المواقف النظرية التي نعتقد بأنها الأكثر نشاطاً وأهمية في حقبة التسعينات. ويُعد البعض مما تناولناه من النظريات نظريات معروفة تماماً في أبحاث تعلم اللغة الثانية لكنها أخذت منحى تطورياً مختلفاً في ضوء ما استجد من شواهد لاحقة (كما نجد في نظرية النحو الكلي التي سنتناولها في الفصل الثالث)، بينما يعد بعضها الآخر من النظريات الحديثة نسبياً في دراسات تعلم اللغة الثانية ولكنها تطرح تحدياً مفيداً للتأسيس المعرفي (كما في النظرية الربطية connectionism) التي سنناقشها في الفصل الرابع، أو النظرية الاجتماعية الثقافية (sociocultural) (التي سنناقشها في الفصل السابع).

لقد اتسم البحث في ميدان تعلم اللغة الثانية منذ بدايته بالتنوع حيث احتضن عدداً من الأنظار التي تنتمي في الأصل إلى فروع علمية أخرى. ولعل أعمق تأثير نظري نال هذا الفرع كان من قبل اللغويات واللغويات النفسية، وقد استمرت هذه الوضعية سائدة في كثير من المراجع المعاصرة في هذا الحقل كما هو الشأن مثلاً لـ غاس وسيلينكر (Gass and Selinker, 1994)، وريتشي وباتيا (Ritchie and Bhatia, 1996b)، وشاروود سميث (Sharwood Smith 1994). وهذا يعني أن الباحثين في مجال تعلم اللغة الثانية ركزوا بشكل عام على محاولة إيضاح "مسار" التطور اللغوي لدى المتعلم والعمل على تفسيره من خلال النظر في طريقة عمل الآليات النفسية الداخلية سواء كانت خاصة باللغة أم عامة. فقد نظروا إلى المتعلم بشكل عام على أنه شخص يتمتع بجملة من السمات الثابتة نسبياً، (مثل العمر والذكاء والشخصية والاستعداد اللغوي والدافعية)، التي قد تعزز أو تعيق سرعة تعلم اللغة الثانية، وتؤثر في مدى النجاح النهائي الذي يجزه المتعلم. أما النظريات ذات المنحى الاجتماعي المتعلقة بالتعلم فقد ظلت على العموم هامشية في هذا الميدان إلى حد ما، على الرغم من استمرارها في الظهور من حين لآخر. وظلت هذه الوضعية بشكل عام على ما هي عليه على الرغم من القبول الواسع بمقولة "الكفاية الاتصالية" communicative competence التي جاءت بها اللغويات الاجتماعية لتكون بمثابة الهدف من تعلم اللغة الثانية وتدريسها (Bramfit and Johnson, 1979).

لقد بذلنا جهداً خاصاً لأن يشتمل هذا الكتاب على مناقشة لبعض الاتجاهات النظرية التي تعد تعلم اللغة عملية اجتماعية في جوهرها وكذلك الاتجاهات التي تنظر إلى المتعلم على أنه كائن اجتماعي تعاد صياغة هويته باستمرار من خلال عملية الاحتكاك مع اللغة الثانية ومجتمع الناطقين بها. ولتوضيح الاتجاه الأول عمدنا إلى النظرية الاجتماعية الثقافية لفايغوتسكي Vygotsky التي أخذت تظهر مؤخراً في ميدان تعلم اللغة الثانية كجزء من تأثيره المتنامي في مجال التفكير التربوي وفي نظرية التعلم بشكل أعم (انظر الفصل السابع). ولتوضيح الاتجاه الثاني تناولنا أعمالاً حديثة تدرس الاتصال في اللغة الثانية في ضوء المؤثرات الاجتماعية والثقافية ethnography of L2 communication (انظر مثلاً (Bermer et al. 1995)، وسناقش هذا في الفصل الثامن.

وبقدر ما كنا انتقائين في اختيار النظريات التي نطرحها للمناقشة فقد كنا انتقائين أيضاً في مراجعتنا للشواهد التجريبية التي قامت عليها تلك النظريات. وقد قام منهجنا في العموم على شرح الاتجاه النظري المطروح من خلال مناقشة عدد محدود من الدراسات الرئيسية المتأثرة به نستخدمها لتوضيح عدد من الأمور مثل: نوع الاتجاه البحثي الذي تمتاز به الأعمال البحثية المختلفة في حقل تعلم اللغة الثانية (من الدراسات العملية المنضبطة لأشخاص يحاولون تعلم لغات اصطناعية إلى الملاحظة الطبيعية للتعلم كما يحدث في المجتمع)، وحجم وطبيعة الحقائق اللغوية التي تبدو ذات أهمية، وكذلك نوع التعميمات المستخلصة. ونحيل القراء كلما كان ذلك مناسباً إلى دراسات تعالج الشواهد البحثية ذات العلاقة بالاتجاهات النظرية المطروحة بشمولية أكبر مثل (Ellis, 1994) و (Larsen-Freeman and Long, 1991).

والخلاصة أن البحث والتنظير في ميدان تعلم اللغة الثانية اعتمد تاريخياً بشكل كبير على نظريات تعلم اللغة الأم وأيضاً على منجزات اللغويات النظرية والوصفية. ولاعتقادنا بأن الطلبة المتحقين بهذا الحقل بحاجة إلى فهم معين لهذه الأصول فقد قمنا بتقديم إلماحات موجزة عن الأفكار ذات العلاقة بحقل اكتساب اللغة الأم في مواضع متفرقة من هذا الكتاب (وخاصة في الفصل الثاني والثالث والخامس والثامن).

### طرق مقارنة نظريات تعلم اللغة الثانية

نريد أن نشجع قراءنا على التعرف على أوجه الشبه أو الاختلاف بين الاتجاهات النظرية المختلفة التي نناقشها في هذا الكتاب لكي يتمكنوا من الوصول إلى فهم أفضل لأنماط القضايا التي تحاول كل نظرية تفسيرها ومدى ما أحرزته من تأييد حتى الآن من قبل الشواهد التجريبية. لذا فإننا عند استعراض ما اخترناه من نظريات نقوم بتقييم كل نظرية بانتظام مركزين انتباهنا على العوامل التالية:

- مزاعم النظرية والمدى الذي تغطيه.
- النظرة التي تعتمد عليها النظرية إلى اللغة.
- النظرة إلى عملية تعلم اللغة.
- النظرة إلى المتعلم.
- طبيعة الشواهد التجريبية المؤيدة للنظرية ومدى قوة تأييدها.

وسنناقش في الفصل الأول كلاً من هذه العوامل باختصار مع عرض للمصطلحات الرئيسية والقضايا الدقيقة التي أثبتت أهميتها في التمييز بين نظرية وأخرى.